جامعة عين شمس
كلية البنات
قسم الدراسات الفلسفية

٥٩/٢١٦٥
COV٨٤

أسس مفهوم الحضارة في الإسلام

رسالة لنيل درجة الماجستير

٥١٧٨

إعداد
سليمان عبد الدايم عبد الحميد الخطيب

إشراف
الأستاذة الدكتورة / فوقيه حسين محمود
أستاذة الفلسفة بكلية البنات
جامعة عين شمس

مكتبة الكلية الإلهية

١٨٩
س ٠ ع

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

أســـس مفهـــوم الحضـــــارة فى الاســـلام

المشرفعلـــى الرســالة

الاســـم : د • فوقيـــة حسين محمـــود. فوقية حسين محمود

اللقب العلمى : استاذة الفلسفة بكليـة البنات جامعـة عيـن شمـس.

يعتمـــد
د. سيد فضل
رئيس قسم الفلسفة
٢٤ / ١٢ / ١٩٨٤

اتم الطالب المقررات التاليـــة واجتازها بنجـــاح كاستيفاء جزئـى لمتطلبات درجـــة الماجستيـــر :

١ ـ الفلسفة الاســلاميـــة .

٢ ـ الفلسفة اليونانيـــة .

٣ ـ الفلسفة الحديثـــة .

٤ ـ الفلسفة المعاصـــرة .

رئيس مجلس القســـم

د. ســـ

١٩٨٤/١٢/٢٤

وكيل الكلية للدراسات

٨٥/

١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

« وأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله »

صدق الله العظيم

إهـــداء

إلى أمـــ .....

وإلى أبـــ .....

تقـــديرًا لرعايتهما

واعترافًا بفضلهما

شكـــر وتقديـــــر

لا يفوتنا أن نتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان الى الاستـــــاذة الدكتورة/ فوقية حسين محمود استاذة الفلسفة بكلية البنـــــــات جامعة عين شمـــس، والتى شرفنا باشرافها على هذا البحـــــث وذلك تقديرا لما بذلته من جهد انسانى وعلمى لانجاز ذلـــــك العمل حيث كان لتوجيهاتها وارشاداتها الدور الأكبر فى كـــــل خطوات البحـــث، بحيث يمكن أن نعتبر مجهودات الاستـــــاذة الدكتورة فوقية حسين ، تعبيرا عن الأصالة الفكرية والحضاريـــــة للانسان المسلم من خلال تعاليم القرآن والسنة، وهو اتجـــــاه تحددت معالمه لديها ، وتبنته فى عطائها الفكرى والعلمـــــــى بصبر وايمـان ، وهو عطاء الحضارة الاسلامية - ولا ريب .

المقدمة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

المقدمـــــة

اذا كانت مشكلة كل شعب هى - فى جوهرها - مشكلة حضارته ، فانه لا يتأتى لأمة أن تواجه حاضرها الفكرى والثقافى ما لم ترتفع بفهمها الى حقيقة ماضيها الحضـــارى ، وتراثها الثقافى وذلك من أجل الوعى بالأسس والمقومات التى تقوم عليها الحضارات فـى المسيرة الانسانيـــة .

والانسان المسلم اليوم ، وفى ظل رياح التغيير الثقافى والحضارى ، ومن خـــلال المعترك الفكرى الدائر بين المذاهب المختلفة ، عليه أن يعى أن مطامحه صوب احـــراز معركة المستقبل والتطور الحقيقى لمجتمعه ، لا بد وأن يتم من خلال اطاره الخـــاص ، وفق اخلاقيات وقيم حضارته الاسلامية ، والدور الرائد الذى لعبته التجربة الاسلاميـــة فى التاريخ الحضارى للانسانية ، وبذلك يكون التطور الحضارى منبثقا عن الذات وليـــس من خارجها ، تطورا يعبر عن الهوية الحقيقية للأمة المسلمة بعقيدتها ، وأخلاقياتهـــا ، هذا التطور الذى نتج عنه نظام انسانى مميز تبدى فى شكل حضارة ، هى الحضـــارة الاسلامية .

وأية نظرة سريعة تجاه معطيات الفكر الفلسفى الراهن ، وعروض المكتبة المعاصـــرة ، تطلعنا على حشد كبير من الابحاث والمؤلفات المتعلقة بالنظريات الغربية للحضـــارة ، مثل التفسير المثالى لهيجل ، والمادى لماركس وانجلز ، والتفسيرات الحضارية لـــدى شبنجلر وتوينبى ، بالاضافة للفهم البرجماتى والوجودى لقضية الانسان المعاصـــر ، لكننا لا نجد ازاء هذا كله دراسات منهجية متكاملة لعرض المفهوم الاسلامى لقضيـــة الحضارة من خلال الاصول الاسلامية قرآنا وسنـــة .

وقد أخذت تزداد اتضاحا يوما بعد يوم أهمية دراسة الحضارة كوحدة للدراســات التاريخية ، حيث تلعب التجربة التاريخية لكل مجتمع حضارى ، دوراً هاما فى صياغـــة حاضره وتطلعه نحو المستقبل ، الذى يتوجب أن يسير اليه وفق القيم العقيديـــة والفكرية التى تنبثق عن ذاتيته الحضارية ، لأنه ومن واقع التجارب الحضارية للمجتمعات المختلفة ، يستحيل أن يبدأ أى مجتمع انطلاقته من فراغ ، دونما التفات الى تراثـــه الحضارى ، اذ أن عدم الالتفات الى الماضى التاريخى ، والتراث الفكرى ، يضيع علـــى المجتمع - وهو فى مرحلة الاستعادة الحضارية - جهدا كبيرا ، ووقتا طويلا ما كان له أن يضيعه ان لم يلتفت الى الماضى بكل تفاعلاته وانعكاساته ليستمد منه المواقف والقيـــم التى ساهمت وتساهم فى صياغة المجتمع من الناحية الحضاريـــة .

ويصبح من الضرورى على المفكر المسلم ، ان ينظر الى حقيقة الحضارة الاسلامية ، محاولا بيان أهم الأسس التى قامت عليها ، ومجليا للمقومات التى صنعت ضمير الأمة الاسلامية خلال أربعة عشر قرنا من الزمان ، لأن تفحص الماضى الحضارى لأمة من الأمم يترك بصماته دائما على حاضرها ، وهو الذى يحدد مكوناتها وقيمها الاساسية ، ومن ثم تندفع نحو المستقبل وهى موصولة بتراثها دونما انقطاع عن جذورها الثقافية ، وبذلك يرفد تاريخ الأمة الفكرى بالاستمرارية والعطاء .

وتغطى المسألة الحضارية ساحة واسعة فى معظم مذاهب التفسير التاريخى .

فاذا بدأنا برأى ابن خلدون - مثلا - نجد أنه يرى فى التحضر مسألة تجئ دائما فى اعقاب توطن العناصر البدوية فى الامصار ، وتجاوزها مرحلة التنقل والرعى .

وهيجل يراها مسألة داينامية شاملة تنبثق عن صراع النقيضين فى عالم الافكار ، طارحا هذا على بساط البحث ، فى تسلسل ينتهى الى مرحلة تجلى المتوحد ، حين يصل العقل الكلى قمة تعبيره وكامل انطباقه على حضارة العالم ومؤسساته ومن خلالهما .

وأما ماركس فانه يأخذ عن هيجل داينامية الحركة الحضارية المتولدة عن صراع النقائض الا أنه يقصرها فى نطاق المادة ووسائل الانتاج والظروف التى تعمل فيها ، ويرى فى هذا المثلث القاعدة التحتية التى تنبثق عنها سائر الفعاليات والمنجزات الحضارية " الفوقية " متأثرة بها ، حتى لو كانت قيما خلقية وممارسات دينية ومنازع عاطفية وعلاقات جمالية .

أما عند توينبى . . فتشكل الحضارة مضامين رؤيته للتاريخ ، من خلال نظريته حول التحدى والاستجابة ، التى ترى أنه حينما كان التحدى البيئى والبشرى مناسبا فى حجمه لمقدرة الجماعة البشرية ، وحيثما كانت الجماعة فى وضع تاريخى يمكنها من الرد على التحدى حيثما كان للحضارة أن تتقدم وللحركة أن تواصل مسايرتها لا يصال المعطيات الحضارية الى قمة منحناها ، وبالعكس تؤول الحركة الى التعثر ، والحضارة الى الانتكاس ، حيثما جاء " التحدى " دون أو أعلى من الحد المناسب ، أو عجزت الجماعة عن الاستجابة له والرد عليه ، بقدر كاف من القوة والفاعلية ، ويتناسب حجم العطاء الحضارى كما ونوعا تناسبا طرديا على حجم الاستجابة وامدائها بمقاييس الكم والنوع كذلك .

فما الذى يقوله لنا كتاب الله فى المسألة الحضارية ؟

. . . . ان كلمة " حضارة " و " تحضر " لم تكن شائعة فى استعمالات العربية اللغوية فى البداية ، وذلك طيلة القرون التى أعقبت مرحلة الفتوحات الاسلامية ، ويكاد ابن خلدون أن يكون أول من نبه اليها ، واستخدمها فى مقدمته ، ومن خلال اصطلاحه الخاص " العمران البشرى " وهو الذى يقابل مصطلح " الحضارة البشرية " . . ولكننا نرى أن مصطلح الحضارة قد فرض نفسه فى القرن الأخير بحكم الاحتكاك بين الشرق والغرب .

فاذا لم يكن لمصطلح الحضارة مكان فى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، واذا لم يوجد فى استعمالات العربية حتى ابن خلدون ، فكيف يمكن أن نتعرض لهذا الاصطلاح وفق الرؤية الاسلامية ؟

اننا يمكن أن نلتقى من خلال القرآن الكريم ، بصيغ ومفردات عديدة أخرى تعبر عن المسألة الحضارية ، لأن القرآن ما جاء الا ليخاطب العرب بلغتهم الراهنة ، ومن خلال مفرداتهم الشائعة .

والرؤية الحضارية مرتبطة بالقرآن ارتباطا وثيقاً ، حيث تنبث بين آياته ومقاطع سوره الطوال والقصار مئات القيم والمعانى التى ترتبط بالمسألة الحضارية ، والتى تمثل لنا بمجموعها أسسا لمفهوم الحضارة فى الاسلام .

لقد حاول " ابن خلدون أن يقدم منهجا لدراسة التاريخ فى مجرى احداثه ، ان لم نقل أنه قام بصياغته فعلا ، ولكنه - طبقا لرأى مالك بن نبى - قد وقف عند ناتج معين من منتوجات الحضارة نفسها وهو الدولة ، وكان من الأجدى به لو أنه رسم لنا تطور الحضارة نفسها ، مبينا الأسس التى تقوم عليها فى صورة منهج قائم بذاته يعلو فوق الاحداث ، ولكن الظروف السياسية التى عصفت بالمجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت ، بالاضافة الى تحرك ابن خلدون الدائم عبر الولايات الاسلامية ، نتيجة للأوضاع المضطربة حينئذ جعله يعيش كل ظروف عصره بكل ما يحمله من اضطرابات وفتن سياسية أدت به الى الوقوف عند مفهوم الدولة .

ولعل ذلك ما يحدونا الى ضرورة عرض أسس مفهوم الحضارة الاسلامية ، فى بحث يستمد رؤيته من كتاب الله مباشرة ، ومن سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويتجاوز التطبيقات التاريخية المتعددة حول الأصول الاسلامية ، باستثناء ما كان تجلية للرؤية الاسلامية وايضاحا للمفهوم الاسلامى للحضارة .

وبذلك يصبح من الضرورى البحث عن أسس مفهوم الحضارة فى الاسلام لأسباب عديدة :

- ان مقاييس التقدم الحضارى فى العالم المعاصر تلقى لنا ضوءا كاشفا على السلبية النسبية فى جهود المجتمع الاسلامى الحضارية فى اللحاق بمستويات التقدم المادى بصفة خاصة .

- وفى مواجهة اشكاليات الانصهار والاقتباس والتفاعل مع حضارة الغرب ، ما يزال المسلمون ينظرون الى ذلك نظرة تساؤل عميقة ، يشوبها التردد والانفعال ، وضعف المواجهة أمام هيمنة الغرب على نمط الحضارة المعاصرة ، وكأن المسلم لا يملك رصيدا من القيم الحضارية يكفل له المواجهة والقيادة بايمان وحزم .

- وبالتالي فقد اصبحت الحضارة الاسلامية بلا كيان متوحد لمواجهة التحديات ، واعادة ذلك الكيان الاسلامي فريضة اسلامية ، ومطلب يحدده صدق التجربة الايمانية الاسلامية .

- ان البحث عن المستقبل الأفضل لن يتحقق الا بتفحص الماضي الحضاري للأمة الاسلامية ، هذا الماضي يمثل تيارا متدفقا يصب دائما في الحاضر ، ويرفده بكل مكوناته الاساسية ويدفعه نحو المستقبل ، وهو يحمل الكثير من هذه المكونات .

- ولا بد من فهم خاص لفاعلية أسس الحضارة الاسلامية ، وطبيعة العلاقات والارتباطات بين تلك الأسس التي تمنحنا في نهاية الأمر مفهوما خاصا للكيان الحضاري في الاسلام ، ودوره في التجربة التاريخية .

- وبناء على ذلك الفهم الشامل لهذه الفعالية الحضارية ، ومعرفة الدور الذي يقوم به الانسان المسلم ، وهو السند المحسوس للحضارة الاسلامية في المسألة الحضارية ، يمكننا أن نحدد تصورا يتميز بالواقعية ، ومنطلقا من الأصول الاسلامية التي احتواها ضمير المسلم واحتوته خلال أربعة عشر قرنا من الزمان .

- ان مبادئ الحضارة الاسلامية ومفاهيمها ، لا تكتسب الأهمية الايجابية ، الا بأن تتخذ كميدان للدراسة والاختبار ، بوصفها تجربة أدت دورا هاما في تاريخ الحضارات ، وكونها رؤية متكاملة لمواجهة أزمة الانسان المعاصر ، لذلك يمكن أن نستخلص منها القيم والقوانين التي لا تستقيم أية برامج للحاضر والمستقبل الا على هدى مسيرتها ، وذلك لاستجلاء عوامل المد في عصور الازدهار لادراك عوامل الجزر في أزمنة التحديات .

- لقد وقعت الحضارة الغربية في خطأ الجهل بحقيقة الانسان ، عندما وضعت الحواجز بين عالمي الروح والمادة ، حيث لا تنظر الى القيم الروحية نظرة ايجابية ، باعتبارها قيما سالبة في حركة المجتمع .

- والحضارة الغربية ، اذ تقوم بتخطيط الانظمة والقوانين التي تنظم العلاقات الاجتماعية مجردة عن القيم الروحية ، تحكم على الانسان بالتشتت ، ويصيبه بازدواجية التفكير ، مما يترك آثاره السيئة على وجود الانسان الداخلي ونشاطه الحضاري على السواء .

- ان النقد التحليلي لتطور الحضارة الاوربية بشكليها الرأسمالي والاشتراكي ، يوضح لنا ، أنه ليس من المهم فقط النزعة العملية ، وانما الأهم هو الاطار الذي تأتي ضمنه هذه النزعة ، والقيم التي تنبثق عنها هذه النزعة سواء كانت دينية أو وضعية ، لنتبين أن التقدم العلمي المعاصر ، قد حول العالم الى ساحة للصراع ، حيث تحول الانسان المعاصر الى كائن انمائي استهلاكي ، وهذه هي النتيجة المنطقية الوحيدة

للكيفية الفلسفية التي انطلق بها ومنها الانسان الغربي منذ البداية، حيث أصبح الصراع هو محور النشاط الحيوي للانسان الأوربي .

- الفهم الخاطئ - ان لم يكن المتعمد - لموقف المثقف الغربي من قيمة العلم في الاسلام، مع أن العلم - وذلك بمفهومه التجريبي والعملي - قد نما وازدهر في أحضان الحضارة الاسلامية .

- ان مستقبل الكيان الحضاري الاسلامي غير ممكن امام أية محاولة ايديولوجية غير مرتبطة بالتراث الفكري والعقائدي للاسلام .

ولا شك أن حديث الحضارة الاسلامية، هو حديث أكثر المفكرين والكتاب والباحثين في هذا العصر، سواء منهم المسلمون وغيرهم .

غير أن هذه الكتابات، انما تتناول من الحضارة الاسلامية بيانا وصفيا لمنجزاتها واعجابا بمظاهرها وآثارها، لماساد هذه الحضارة من معارف وعلوم وآداب وغير ذلك. وقلما من حاول في هذه الكتابات من تناول المفهوم الاسلامي للحضارة بصورة تبين لنا أهم الأسس التي تبرز لنا حقيقة الموقف الاسلامي من القضية الحضارية. ولذلك فنحن نفتقد بحثا محددا نستطيع الرجوع اليه، يقوم بصياغة مفهوم الحضارة في الاسلام حيث يكون لنا في نهاية الأمر مرجعا أساسيا يمكن للباحث الرجوع اليه في اطار الدراسات الاسلامية المعاصرة .

ومن أهم هذه الكتابات والمساهمات، يمكننا أن نبرز الآتي :

١- مالك بن نبي : وضع كتبه جميعا تحت عنوان " مشكلات الحضارة "، حيث يرى أنه لا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته الى الاحداث الانسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها، وهو يرى أن الحضارة لا تنبعث كما هو ملاحظ الا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها .

لذلك فان مؤلفاته ذات أهمية، وخاصة في تأكيده على الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية في حركة التاريخ، لكنه عندما يتعرض لمشكلة الحضارة، فانه يبرزها كعلاج لأزمة التخلف في العالم الاسلامي، باعتبار التخلف قضية حضارة قبل كل شيء، وبذلك لم يعالج المشكلة بصورة تتجاوز حدود الزمان والمكان الذي عاصرها، بالاضافة الى منهجه في الصياغة الذي يغلب عليه المنهج العلمي نتيجة لثقافته العلمية التخصصية .

٢- سيد قطب: من أهم كتاباته " الاسلام ومشكلات الحضارة " وهو يحاول فيه طرح التصور الاسلامي لمشكلات الحضارة المعاصرة، وذلك انطلاقا من نقد كتاب

" الكسيس كاريل " الانسان ذلك المجهول الذى يحاول فيه تشخيص أزمة الحضـــارة الغربية ، بافتقادها للبعد الانسانى وافتقادها للقيم الايمانية والاخلاقية ، ومن ثـــم يطرح التصور الاسلامى لمواجهة الأزمة الروحية التى يعيشها الانسان الغربى .

٣- عماد الدين خليل : من أهم مؤلفاته " التفسير الاسلامى للتاريخ " وهو مـن أهم واخصب المصادر لموضوع البحث ، ويمكننا ادراجه ضمن مجال فلسفة التاريخ ، حيث تتضح فيه الرؤية القرآنية لفكرة التاريخ ، وهو عندما يتعرض للحضارة ، فانه يبرزها بـــم يساعده فى ابراز الرؤية الاسلامية لقضية التاريخ ، وذلك لكون الحضارة أحد المباحث التاريخيـــة .

٤- أبو الأعلى المودودى : من أهم مؤلفاته التى تعرضت للموضوع كتابه " الحضارة الاسلامية أسسها ومبادئها " ، حاول فيه التركيز على موقف الاسلام من الحياة الدنيـــا ، وايثار الآخرة على الدنيا ، وأعتبر مقياس التفوق الحضارى فى موقف أى مجتمع من الحياة الدنيا .

٥- أنور الجندى : فى كتابه " الاسلام والحضارة " ، تعرض لأزمة الحضارة الغربية ، ودخولها فى مرحلة المحاق ، مستشهدا بآراء الفلاسفة الغربيين فى تشخيص هذه الأزمة ، وفى أجزاء قليلة يتعرض للمفاهيم الاسلامية دون الرجوع إلى النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الا فيما ندر ، ومع ذلك فهو يفيد فى الحديث عن بعض جوانب أزمة الحضـــارة الغربيـــة .

٦- محمد سعيد رمضان البوطى : فى كتابه " منهج الحضارة الانسانية فى القرآن " ، ركز على أن منهج الحضارة الانسانية فى القرآن يتلخص فى تعريف الانسان بذاتـــه وحياته والكون الذى يعيش فيه ، وما هى الحياة الانسانية فى القرآن الكريم ، وما هـــو الكون فى القرآن الكريم ، وتبرز فى دراسته الكثير من المفاهيم الاسلامية الصحيحـــة بطريقة تقليدية لا تضعنا فى مواجهة مشكلة المفهوم الاسلامى للحضارة بصورة متكامـــلة وقويـــة .

٧- راشد البراوى : وكتابه " التفسير القرآنى للتاريخ " عبارة عن مجموعة دراسات اقتصادية حول القرآن الكريم ، لا علاقة لها بتفسير التاريخ ، ومن ثم الحضارة ، وكـــان أحرى به أن يسمى كتابه " دراسات اقتصادية فى القرآن " بدلا من تسميته تلك .

أما بالنسبة للكتابات الغربية فانها لم تكن موضع ثقة ، واصحابها لم يملكوا العناصر اللازمة التى كان يمكن أن تسمح لهم ، بالالمام بحقيقة ودلالة الموقف الاسلامى مـــن

القضية الحضارية ، هذا بالاضافة الى تاريخ العقل الغربي في الغزو الفكري ، الـــذي حاول دائما تشويه الدور الذي قامت به الحضارة الاسلامية في التاريخ ، ومن ثم لا تمثل الكتابات الغربية مصدرا يمكن الاعتماد عليه ، الا ما كان ابرازا لدور الثقافة الاسلاميـة في عصر النهضة الأوربيـــة .

ومن أبرز هذه الكتابات :

ستانوود كب: "المسلمون في تأريخ الحضارة" وهو يمتاز بعرض مبسط لقصـــة الحضارة الاسلامية في تاريخ الانسانية ، وهو يعالج جوانب متعددة في اجمـــال ولا يكدس التفاصيل ، وهو يبرز أهم الاصول الحضارية لمدنية عصر النهضة الأوربية من خلال مؤثرات الحضارة الاسلامية .

آدم متـز : في كتابه "الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، يتجه فيـه الى التسجيل التاريخي ، ولكنه يقتصر على فترة تاريخية محددة ، وهي القرن الرابـــع الهجري .

بارتولـد : ركز في كتابه "الحضارة الاسلامية" على تاريخ الشعوب التركيـــة . أما جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" وزيجريد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" و "جروينباوم" في "حضارة الاسلام" ، فكل هذه المراجع لا تتحدث عن الحضارة الاسلامية الا من قبيل اسهاماتها المدنية في مجالات العلم والآداب وغير ذلك . ولا تتعرض للحضارة من حيث أسسها ومقوماتهـا .

ولذلك فنحن نحاول في هذه الدراسة القاء الضوء على أهم الأسس الاسلامية التي تمكننا في نهاية الأمر من ابراز حقيقة المفهوم الاسلامي حول الحضارة ، واضعين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصب أعيننا طوال خطوات البحث ، ايمانا منا بتكامل وشمول وايجابية الرؤية القرآنية لكل قضايا الانسان وتطلعاته صوب تحقيق حضارة تنمو علـــى كل المستويات الروحية والاخلاقية والطبيعية .

وقد حاولنا في الفصل الأول أن نعرض لمعنى الحضارة في اللغة والاصطلاح لبيان حقيقة المسألة الحضارية لغة واصطلاحا في محاولة للوقوف على تعريف لفظ الحضارة وأهم مراميه ، ثم بيان موقف الاسلام من اللفظ في اللغة والاصطلاح .

وفي الفصل الثاني حاولنا ابراز الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية في حركة الحضارات خلال التاريخ البشري ، حتى يتسنى لنا الدخول الى المفهوم الاسلامي للحضارة مدخلا موضوعيا ، باعتبار ان الايمان يمثل جوهر الحضارة الاسلامية .